ولولا عيون من الواشين ترمقني ۞ وما احاذره من قول حراس
لزرتكم لا اكافيكم بجفوتكم ۞ مشيا على الوجه او سعيا على الراس

وكتب الى ندمايه من قصره بقرطبه وقد اصطبحوا بالزهرا يبعثهم الى الاغتباق عنده

حسدا لعقربكم الزهراء ۞ ولعمري وعمركم ما اساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا ۞ فاطلعوا عندنا بدورا مساء

والزهرا من بديع المباني العجيبة والزهرا بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة وهي من عجايب ابنية الدنيا انشاها ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر لدين الله من ملوك بني اميه بالاندلس بالقرب من قرطبه في اول سنة خمس وعشرين وثلثماية ومسافة ما بينهما اربعة اميال وثلثا ميل وطول الزهراء من المشرق الى الغرب الفان وسبعماية ذراع وعرضها من القبلة الى الجوف الف وخمسماية ذراع وعدد السواري التي فيها اربعة الاف سارية وثلثماية سارية وعدد ابوابها يزيد على خمسة عشر الف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد اثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهرا وكانت جباية الاندلس خمسة الاف الف دينار واربعماية الف دينار وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعماية الف وخمسة وستون الف دينار وهي من اهول ما بناه الاندلس واجله خطرا واعظمه شانا ذكر ذلك كله ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الخاء في تاريخ الاندلس وكان ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مايلا الى بني عباد بطبعه اذ كان المعتمد الذي ضرب بصنيعه وله فيه المدايح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر اولاده الاربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمامون والمؤيد ومن جملتها قوله ولقد جاد فيه كل الاجادة وابدع وهي في غاية الحسن وهو قوله

يعنتك في محل يعينك في ردى ۞ يروعك في درع يروقك في برد
جمالا واجمالا وسبقا وصولة ۞ كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهجته شاد العلى ثم زادها ۞ بناء بناء حجا حجه لبعد
باربعة مثل الطباع تركبوا ۞ لتعديل جسم المجد والشرف العد

ومع هذه المكارم والاحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول ابو الحسن جعفر بن ابراهيم بن الحاج المبورقي

تعوذ عن الدنيا فما معروف اهلها ۞ اذا عد المعروف في آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلثة اشهر ۞ بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وكان الادفونش بن فردلند ملك الفرنج بالاندلس قد قوي امره في ذلك وكانت ملوك الطوايف من المسلمين هنالك يصالحونه ويودون اليه ضريبة ثم انه اخذ طليطلة في يوم الثلثا منتصف صفر سنة ثمان وسبعين واربعماية بعد حصار شديد وكانت للقادر بالله بن ذي النون وفي اخذها يقول ابو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي يعرف بابن العسال الطليطلي وهو مذكور في الصلة لابن بشكوال

حثوا رواحلكم يا اهل اندلس ۞ فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من اطرافه وارى ۞ سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يامن عواقبه ۞ كيف الحياة مع الحيات في سفط

وكان المعتمد بن عباد اكبر ملوك الطوايف واكثرهم بلادا وكان يؤدي الضريبة للادفونش فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبته المعتمد طمعا في اخذ بلاده فارسل اليه يتهدده ويقول له تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه فبلغ الخبر الادفونش وهو متوجه لحصار قرطبه فرجع الى طليطله لاخذ الات للحصار فلما سمع مشايخ الاسلام وفقهاوها بذلك اجتمعوا وقالوا هذه مدن الاسلام قد تغلب عليها الافرنج وملوكها مشتغلة بمقاتلة بعضهم بعضا فان استمرت الحال ملكوا الفرنج جميع البلاد وجاووا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد شيئا واخر ما اجتمع رايهم عليه ان يكتبوا الى ابي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه وسياتي ذكره في حرف الياء ان شاء الله تعالى فاجتمع القاضي بالمعتمد واخبره بما جرى فوافقهم على انه مصلحة وقال له تمضي اليه بنفسك فامتنع فالزمه بذلك فقال استخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب للوقت كتابا الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره مع بعض عبيده اليه فلما وصله خرج مسرعا الى مدينة سبته وخرج القاضي ومعه جماعة الى لقائه واعلامه بحال المسلمين فامر بعبور عسكره الى الجزيرة الخضراء وهي مدينة في بر الاندلس واقام بسبته وهي في بر مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء وسير الى مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده امرهم بالعبور وعبر خلفهم وهو في عشرة الاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع ايضا عساكره وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الادفونش الخبر وهو بطليطله فخرج في اربعين الف فارس غير ما انضم اليه وكتب الادفونش الى الامير يوسف كتابا يتهدده واطال الكتاب فكتب يوسف الجواب ظاهره الذي يكون ستراه ورده اليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وتصافوا فانتصر المسلمون وهرب الادفونش بعد استيصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واربعماية كذا قالوا والصحيح ان هذه الواقعة من اشهر الوقايع وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما واصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ورجع الامير في اليوم الثاني وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض الافرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر على غرناطه فخرج اليه صاحبها عبد الله بن بلكين ثم دخل البلد فخرج اليه التقادم فقعد به يوسف ودخل البلد واخرج عبد الله بن بلكين ثم دخل قصره فوجد فيه من

Copyright © King Saud University